كتاب

تَسْلِيَةُ نُفُوْسِ النِّسَاءِ والرِّجَالِ عِنْدَ فَقْدِ الأَطْفَالِ

للحافظ عَبْدِ الرَّحْمَن بنِ رَجَبٍ
ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى ـ
736 - 795 هـ

بتحقيق « الشَّيخ الوليد بن عبد الرّحمن الفريان ـ أثَابَهُ اللَّـهُ ـ.»

قام بتنسيقه ونشره : سَلْمان بن عبد القادر أبُو زيدٍ ـ عَفَا اللَّـهُ عَنْهُ بِمَنِّه ـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [سورة التغابن الآية 11] . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياه) ، وفي حديث آخر من رواية صهيب رضي الله عنه قال : (عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) .

الصبر في قمة الأعمال الصالحة التي وعد الله عليها بالثواب الوافر ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [سورة الفرقان الآية 75].

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية 90]. ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان الآية 12] وأصبر الناس على بلاء الله هم الأنبياء ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة الأحقاف الآية 35] .

لأنه في مواقف الضيق والحرج يمتحن الإيمان ، وتظهر للناس خبيئته ، حيث تتجرع النفس مرارة الألم ، وتعبس الدنيا ويكفهر وجهها . هناك تتجلى قيمة الصبر وفضائله ، متى استطاع الإنسان بعزيمته الصادقة وتسليمه بقضاء الله ، أن يكبح جماح نفسه الشموس ، ويأخذ بمجامعها إلى الجادة ، فإذا ذاقت حلاوة الصبر وبرد الإيمان ، هجعت واطمأنت ، وذهب عنها وهج الحزن وكدره ، حتى ترجع أصلب ما تكون عودا ، وأقوى في مصاولة خطوب الدنيا ونكساتها .

وبهذا الدرع الفريد ، يتجاوز المسلم أزماته ؛ ليحمل مشعل الحياة الكريمة في دروب الأرض وفجاجها الواسعة ، ويقوم بالمهمة التي خلق من أجلها ، وليكمل مسيرة الخير تحت راية التوحيد الخالدة ، فتتحول المنغصات الخانقة ، إلى محرك نشط يدفع بالأمة إلى واجهة التاريخ ، ويصقل بخشونته النفوس فتعود أكثر تألقا ؛ لتعيش هنيئة راغدة في ظل دوحة الإسلام الوارفة ، تتفيا ظلالها وتتقلب في خيراتها .

موضوع الكتاب :

غرس الله في قلوب الآباء محبة الأولاد والشغف بهم ، فلا تكاد تجد أبا أو أما إلا وهو متعلق بأولاده ، كلف بهم ، مهما بلغ جفاء قبله وخشونة أخلاقه ، وقد أشار إلى ذلك المولى جل وعلا في كتابه الكريم بقوله : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ**﴾ [سورة آل عمران الآية 14] وقوله : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[سورة الكهف الآية 46].

وقال مذكرا خلقه بهذه النعمة وممتنا عليهم بها : ﴿ **وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا**﴾ [سورة الإسراء الآية 6] . وقال : ﴿ **أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ** ﴾ [سورة الشعراء الآية 133] . وقال : ﴿ **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ**﴾ [سورة نوح الآية 12] .

حتى بلغت الشفقة بالآباء أن ذهب يعقوب عليه السلام يوصي أولاده بقوله : ﴿ **يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ**﴾ [سورة يوسف الآية 67] . مع أنه ﴿ **مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا** ﴾ [سورة يوسف الآية 68] .

وذهب نوح عليه السلام يدعو ابنه إلى الركوب معه في السفينة فقال : ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**﴾ [سورة هود الآية 42] .

ثم سأل الله تعالى أن يرده إليه : ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾ [سورة هود الآية 45] .

وابتلى الله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ووحيده إسماعيل عليه السلام ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ [سورة الصافات الآية 102] ؛ ليمتحن صبره وجلده على أقدار الله فكان من الصابرين المتحسبين ، وقد وصف الله ذلك بأنه بلاء مبين﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾ [سورة الصافات الآية 106] .

من هذا نلمح مدى ما يتمتع به الأولاد من مكانة عالية في نفوس أهليهم ، ولذلك فالابتلاء فيهم له وقع شديد على النفوس ، وأثر لا تمحوه الأيام ، إلا من تذرع بالصبر ، وفوض أمره إلى الله كما قال يعقوب عليه السلام : ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ [سورة يوسف الآية 86] .

وإفراد هذا الموضوع الإنساني بالبحث لفتة بارعة من أبي الفرج تفيض بالحس الرفيع والروح الشفافة(1).

المؤلف :

(1) كان من الأسباب التي دفعتني إلى إخراج هذا الكتاب: أني فقدت منذ سنوات ثلاث أخا وصديقا من خؤلتي ، اخترمته المنية وهو في ميعة الصبا وريعان الشباب ومن خيرة الناس استقامة وخلقا ونبلا. فرأيت في نشره تعزية لنفسي وأهله ومن أصيب بمثل ذلك .

هو العلامة الحافظ المفسر الفقيه الأصولي الواعظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين السلامي البغدادي ثم الدمشقي ، المعروف بابن رجب الحنبلي ولد ببغداد سنة 736 هـ وتوفي سنة 795 هـ .

والحديث عن أخلاقه ومناقبه وخلاله الجمة ، لا تكاد تفي به الصفحات الطوال ، وأظن أن أصدق وصف له ما قاله العليمي : اجتمعت الفرق عليه ومالت القلوب بالمحبة إليه[(1)].

أما عبادته وزهده وورعه فحدث ولا حرج ، يقول الحافظ ابن حجر : كان رحمه الله عبادة وتهجد منجمعا عن الناس لا يخالطهم ، ولا يتودد إلى أحد من ذوي الولايات[(2)].

ولو ذهبنا نستنطق التاريخ ونسأل صفحاته ، لظفرنا بما ننوء بحمله ونعجز عن تسطيره . وحسبنا القول الذي ألقي على تراثه ، والمحبة التي أشربت بها القلوب .

وهذه المنزلة المرموقة الشامخة لم يكن وصوله إليها ضربا من العبث ولم تأت عفوا ، فدونها خرط القتاد ، وإنما جاءت تتويجا لأعماله وجهوده ووعيه النادر ؛ لأن التاريخ مرآة صادقة يعكس الواقع بتجرد ، ويعطي كل ذي حق حقه من غير ادعاء أو تزييف .

فالتأريخ حكم فصل تسقط دونه جميع الأقنعة ، وتنكشف أمامه مواطن الضعف ومسارب القصور .

وبالطبع فإننا نقصد به التأريخ الحقيقي - سواء كان منشورا أم لا - البعيد عن المؤثرات البيئية التي ربما كانت سببا في إخفائه أو تشويهه .

ابن رجب : أيها الرجل المعطاء لقد أنصفك التأريخ ، وبوأك مكان الصدارة في عالم الفكر ودنيا الثقافة ، فلله درك من عالم وهب نفسه لله وأتحف الناس بروائعه ، التي لا زالت نبعا صافيا يردونه في كل حين .

الأصل المخطوط :

وصلتنا صورته ضمن مجموعة خطية ، عن أصل محفوظ في مكتبة فاتح تحت رقم 5318 ، ويقع في ست ورقات ، نسخت سنة ثلاث وتسعين وثمان مائة كتبها عيسى بن علي الحوراني[(3)]، بقلم نسخي جيد ومسطرتها 19 سطرا (ينظر الأنموذج) وسجل في أوله ما نصه : (يتلوه كتاب تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال . تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس الحنبلي الشهير بابن رجب رحمهما الله تعالى) [(4)]. وقد حاولت الحصول على نسخ أخرى لأستفيد منها في التحقيق فلم أجد ، ولعلي أن أعثر على ذلك في مستقبل الأيام .

---

[1] (2) [المنهج الأحمد ق / 470]
[2] (3) [إنباء الغمر بأخبار العمر 1 / 795]
[3] (1) لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر.
[4] (2) سبق أن ذكرت وصفا موسعا للمجموع في العدد السادس عشر من المجلة .

التوثيق :

سلفت الإشارة إلى أن المجموع الذي يضم هذا الكتاب على درجة لا بأس بها من الصحة والإتقان .
وتداول العلماء له بالتملك والوقف ، مع اشتماله على رسائل أخرى للمؤلف دليل آخر على صحة نسبة الكتاب إليه ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك التشابه في الأسلوب بينه وبين مؤلفاته المعروفة ، فإننا نصل إلى القناعة بصدق هذه النسبة .
ولا يضر بعد ذلك إهمال المترجمين له في ثبت المؤلفات ؛ لأنهم دأبوا على الاكتفاء بالمشتهر دون غيره .

منهج التحقيق :

حرصت على أن يخرج الكتاب كما وضعه مؤلفه . فلم أتصرف في النص إلا بقدر ما تقضي به الضرورة ؛ من إضافة أو تعديل ، فقمت به ونبهت عليه في موضعه ، وعزوت الآيات الكريمة وخرجت الأحاديث الواردة - مع نقل ما قاله أهل العلم في شأن ثبوتها - والآثار التي أسعفتني المصادر بها ، وترجمت لمن رأيت أنه بحاجة إلى التعريف به ، وفسرت ما حسبته غامضا .
وبعد :
أرجو الله مخلصا أن أوفق إلى متابعة هذا الجهد المتواضع فيما يعود بالخير والنفع المتصل ، فمنه نستمد العون ونستلهمه الرشد والسداد .

كتبه :الوليد بن عبد الرحمن الفريان
19 / 6 / 1407 هـ



الوجه الأول من الورقة الأولى

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين وبعد :

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : **(** قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك . فواعدهن يوما لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ، إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ قال : واثنين) .

هذا يدل على أن مجالس النبي صلى الله عليه وسلم - للفقه في الدين والتذكير ونحو ذلك - لم يكن النساء يحضرنها مع الرجال ، وإنما كن يشهدن الصلوات في مؤخر المساجد ليلا ، ثم ينصرفن عاجلا ، وكن يشهدن العيدين

مع المسلمين منفردات عن الرجال من ورائهم ، ولهذا لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد رأى أنه لم يسمع النساء ، فلما فرغ جاء ومعه بلال إلى النساء ، فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، وأجلس الرجال حتى يفرغ من موعظة النساء .

وأصل هذا ، أن اختلاط النساء بالرجال في المجالس بدعة كما قال الحسن البصري[1] . فلذلك قال له النساء : (يا رسول الله ، غلبنا عليك الرجال).

وقد روي من حديث أبي هريرة ، (أن النساء قلن : يا رسول الله ، إنا لا نقدر على أن نجالسك في مجلسك فقد غلبنا عليها الرجال ، فواعدنا موعدا نأتيك . قال : موعدكن بيت فلانة[2] فأتاهن فحدثهن)[3] .

وقد أمره الله تعالى أن يبلغ ما أنزل إليه : للرجال والنساء ، وأن يعلمه الجميع ، كما قال له : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ الآية [سورة الأحزاب الآية 59] .

وقال : ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾ الآية [سورة النور الآية 31] .

فامتثل ما أمره الله تعالى ، ووعدهن مجلسا خاصا لهن ، في بيت امرأة ، ولعل تلك المرأة كانت من أزواجه أو محارمه - والله أعلم بحقيقة ذلك - ثم وفى بموعده لهن ، فأتاهن في يوم موعدهن ، فوعظهن وأمرهن ونهاهن ورغبهن ورهبهن ، فكان من جملة ما بشرهن به أن قال لهن : (ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها لم يبلغوا الحنث إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ قال : واثنين) . وليس في هذا حد سالم[4] .

وعمومه يدخل فيه من بلغ الحنث ومن لم يبلغه ، والمصيبة بمن بلغ أعظم وأشق على النفوس .

والمصيبة بمن لم يبلغ أهون وأخف ، وقد جاء تقييده في حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (183 / أ) : (ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) خرجاه في الصحيحين[5] .

---

(1)[1] الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيرا ويدلس ، توفي سنة عشر ومائة . [تقريب / 160]

(2)[2] في المسند : بيت فلان .

(3)[3] [أخرجه أحمد في المسند 19 / 138 (الفتح الرباني) ، والبخاري في الأدب رقم 148 .]

(1)[4] ما بين الحاصرتين علق في الهامش بخط باهت . وهذا ما استظهرته .

(2)[5] [البخاري في الصحيح رقم 1381 (فتح) ، وأحمد في المسند 3 / 152 ، والنسائي في المجتبى 4 / 24 ، وابن ماجه في السنن رقم 1605 ، وابن حبان في الصحيح رقم 721 (موارد) ولم يخرجه مسلم من حديث أنس.]

والمراد بالحنث الإثم[1]، والمعنى انه لم يجر عليه الإثم ببلوغه العمر الذي يكتب عليه الإثم فيه . وهو ببلوغ الحلم وعلل : بفضل رحمة الله إياهم . يعني أن الله يرحم أطفال المسلمين رحمة تامة ، حتى تفضل عنهم ، فيدخل آباؤهم في فضل تلك الرحمة . وهذا مما يستدل (به)[2] على أن أطفال المسلمين في الجنة .

وقد قال الإمام أحمد[3]: ليس فيهم اختلاف أنهم في الجنة[4] - وضعف ما روي مما يخالف ذلك أيضا[5] –

و(لا)[6] أحد يشك أنهم في الجنة[7]: قال : وإنما اختلفوا في أطفال المشركين[8].

وقال أيضا : هو يرجى لأبويه فكيف يشك فيه[9] !! يعني أنه يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه ، فكيف يشك فيه !

ولذلك نص الشافعي[10] على أن أطفال المؤمنين في الجنة[11]، وروي ذلك عن علي وابن مسعود وابن عباس وكعب .

وخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش[12]. وخرج البيهقي من رواية ابن عباس عن كعب نحوه[13].

---

[1] (3) [ينظر ابن حجر فتح الباري 3 / 120 .]
[2] (4) زيادة يقتضيها السياق .
[3] (5) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ثقة حافظ فقيه حجة إمام ت 241.]التقريب/ 84[.
[4] (6) نقله المؤلف من رواية جعفر بن محمد عنه . [كتاب الأهوال / 101].
[5] (7) [كتاب الأهوال / 105].
[6] (1) زيادة يقتضيها السياق .
[7] (2) رواية الميموني عنه [كتاب الأهوال / 101].
[8] (3) [كتاب الأهوال / 104].
[9] (4) نقله المؤلف عنه في [كتاب الأهوال / 106 .]
[10] (5) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي نزيل مصر. فقيه أصولي محدث ت 204 [التقريب / 467].
[11] (6) ينظر المؤلف أهوال القبور / 101 .
[12] (7) ورواه الثوري والأعمش عن أبي قيس عن هذيل من قوله . ذكرهما المؤلف في الأهوال عن ابن أبي حاتم / 102 .
[13] (8) [البعث والنشور رقم 206].

وفي صحيح مسلم صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رجلا[1] قال له : مات لي ابنان

فما أنت محدثي عن رسول الله (183 \ ب) صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا . فقال : نعم ، صغارهم دعاميص[2] الجنة ، يتلقى أحدهم أباه - أو قال : أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال : بيده - كما آخذ أنا بصنفة ثوبك ، فلا يتناهى - أو قال : ينتهي - حتى يدخله الله وإياه[3] الجنة .

وخرج النسائي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة . قال : يقال[4] لهم : ادخلوا الجنة . فيقولون : حتى يدخل أبوانا في المجتبى آباؤنا . . فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم) .

وخرج الإمام أحمد ، وابن ماجه من حديث معاذ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفسي بيده ، إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة ، إذا احتسبته) .

وخرج الإمام أحمد وابن ماجه أيضا من حديث عتبة بن عبد السلمي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل) .

وفي رواية للإمام أحمد ، (أن الله تعالى يقول للوالدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة . فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا . قال : فيأبون . فيقول الله عز وجل : مالي أراهم محبنطيين ؟ . ادخلوا الجنة . فيقولون : يارب آباؤنا . فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم).

---

[1] (9) هو أبو حسان كما في الصحيح.
[2] (1) واحدهم دعموص أي صغار أهلها ، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها ، ينظر النووي شرح صحيح مسلم 16 / 182 .
[3] (2) في الصحيح : وأباه .
[4] (3) في الأصل تعالى وهو تصحيف .

وروى الطبراني من حديث انس نحوه وزاد (184 \ ا) فيه : (ان يقال لهم في المرة الرابعة : ادخلوا ووالديكم معكم ، فيثب كل طفل إلى أبويه فيأخذون بأيديهم ، فيدخلونهم الجنة . فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم).

وخرج الإمام أحمد والنسائي من رواية قرة[1] (أن رجلا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه ابن له . فقال له : أتحبه ؟ قال : أحبك الله كما أحبه . فمات ففقده فسأل عنه ، فقال : أما يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته عندها[2]. يسعى ليفتح لك - زاد الإمام أحمد - فقال رجل : له خاصة أم لكلنا ؟ قال : بل لكلكم) .
وخرج الطبراني من حديث ابن عمر نحوه ، ولكن قال فيه : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أو ما ترضى أن يكون ابنك مع ابني إبراهيم يلاعبه تحت ظل العرش ؟ قال : بلى يا رسول الله) .

وفي المعنى أحاديث كثيرة جدا . وقد كان الصحابة يرجون ذلك عند موتهم ، كما روي عن أبي ذر أنه لما حضرته الوفاة بكت أم ذر فقال لها : أبشري ولا تبكي ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة ، فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا) . وقد مات لنا ثلاثة من الولد[3] .
والحديث الذي قبله يدل على أن أطفال المسلمين الموتي يلعبون تحت ظل (184 / ب) العرش ، وفي حديث أبي هريرة أنهم دعاميص الجنة . والدعموص : دويبة صغيرة تكون في الماء .

---

(1) قرة بن إياس المزني .
(2) في السنن : عنده .
(3) رواه الحافظ أبو موسى المديني كما في التسلية للمنبجي / 97 ، وأخرج الحديث دون القصة أحمد في المسند 5 / 153 ، 159 ، 164 ، وابن حبان في صحيحه رقم 722 (موارد) .
وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الأشتر عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر رضي الله عنه الوفاة بكيت . فقال : ما يبكيك ؟ قالت : أبكي أنه لا يد لي بتكفينك . . . الخ 1 / 170
وأخرجه من الطريق نفسه أحمد في المسند 5 / 155 ، 166 وفيه : فقال: أبشروا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من امرأين مسلمين فذكره . وأخرج أبو نعيم أيضا من طريق عبد الله بن خراش قال : رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالربذة ... فقلت له : إنك امرؤ ما يبقى لك ولد . فقال : الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء ... الخ 1 / 161 .

والمعنى انهم يتربون في انهار الجنة ، ويغتمسون فيها ، وفي رواية : ينغمسون في أنهار الجنة[1]. يعني يلعبون فيها .

وقد روي أنه يكفلهم إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة عليها السلام .

وخرج ابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم في الجنة) . وخرجه الإمام أحمد مع نوع شك في رفعه ، ووقفه على أبي هريرة[2].

وروي من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا : (أولاد المسلمين في جبل في الجنة ، يكفلهم إبراهيم وسارة عليهما السلام ، فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم) . خرجه البيهقي وغيره مرفوعا[3]، ويشهد لذلك ما في صحيح البخاري ، عن سمرة بن جندب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أتاني الليلة آتيان ، - فذكر حديثا طويلا وفيه ، إن الملكين فسراه له ، وأنهما جبريل وميكائيل ، وأنه من جملة ما رأى - رجلا طويلا في روضة وحوله ولدان وقالا له : الرجل الطويل في الروضة إبراهيم ، والولدان حوله كل مولود مات على الفطرة . فقال رجل . يا رسول الله (185 / أ) وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين) [4] .

وقد روي أنهم يرضعون من شجرة طوبى . وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن خالد بن معدان[5] قال : إن في الجنة شجرة يقال لها : طوبى . ضروع كلها . ترضع صبيان أهل الجنة ، وإن سقط المرأة يكون في (نهر من) [6] أنهار (الجنة) يتقلب فيه حتى يوم القيامة ، فيبعث ابن أربعين سنة . كذا قال .

---

[1] (1) ذكرها ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 23.
[2] (2) المسند 2 / 326 وانظر الأهوال للمؤلف / 102 .
[3] (3) البعث والنشور رقم 210 وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 3 / 379 والحاكم في المستدرك 1 / 384 ، 2 / 370 وصححه ووافقه الذهبي وأبو نعيم في تاريخ أصبهان 2 / 263 وأبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث وكتاب العري كما في بشرى الكئيب / 89 . قال الدارقطني : والموقوف أشبه . كما هو في الأهوال للمؤلف /103 .
[4] (1) الصحيح رقم 7047 وأحمد في المسند 5 / 14- 15 .
[5] (2) أبو عبد الله الكلاعي الحمصي ، ثقة عابد يرسل كثيرا ت 103 تقريب / 190 .
[6] (3) ساقط من الأصل .

وفي حديث المقدام بن معدي كرب المرفوع : إن ما بين السقط والهرم ، يبعثون أبناء ثلاثين سنة . وفي رواية : أبناء ثلاث وثلاثين .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن خالد بن معدان قال : إن في الجنة شجرة يقال : لها طوبى كلها ضروع ، فمن مات من الصبيان الذين يرضعون يرضع من طوبى . وحاضنهم إبراهيم عليه السلام . وروى الخلال بإسناده عن عبيد بن عمير[1] : إن في الجنة شجرة لها ضروع كضروع البقر ، يغذى به ولدان أهل الجنة ، حتى إنهم يستنون كاستنان البكارة .

وبعض الأطفال له مرضع في الجنة ، مثل إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لما مات قبل أن يفطم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن له مرضعا في الجنة تكمل رضاعه فيها . وفي رواية : " ظئرا"[2]. وفي رواية: إن له مرضعين يكملان رضاعه في الجنة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم (185 \ ب) قد حضره وهو يكيد[3] بنفسه ، فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون . وفي رواية : ولولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأنها سبيل مأتية ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء ، من حديث زرارة بن أوفى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم عزى رجلا على ابنه فقال الرجل : يا رسول[4] ، أنا شيخ كبير وكان ابني قد أجزا عنا . فقال : أيسرك ، قد نشر لك ، أو يتلقاك من أبواب الجنة بالكأس ؟ قال : من لي بذاك يا رسول الله ؟ قال : الله لك بهن ولكل مسلم مات له ولد في الإسلام . وبإسناده عن عبيد بن عمير قال : إذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلمين من الجنة بأيديهم الشراب ، فيقول الناس : اسقونا

---

[1] (4) لعله أبو عاصم بن قتادة الليثي قاص أهل مكة المجمع على ثقته ، وقد ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

[2] (1) أخرجه ابن سعد في الطبقات 1 / 140 .

[3] (2) يقارب بها الموت فتح الباري 3 / 174 .

[4] (3) (الله) زيادة يقتضيها السياق .

اسقونا . فيقولون : ابوينا ابوينا . حتى السقط محبنطيا بباب الجنة يقول : لا أدخل حتى يدخل أبواي .

وفي المعنى حديث مرفوع من رواية ابن عمر لكن إسناده لا يصح وهو باطل ، قاله أبو حاتم الرازي[1] .

وفي المعنى رؤيا إبراهيم الحربي[2]. المشهورة حتى (86 \ أ) صار يتمنى موت ابنه.
ومات قبل البلوغ[3]، وروى البيهقي بإسناده عن ابن شوذب[4]، أن رجلا كان له ابن لم يبلغ الحلم ، فأرسل إلى قومه : إن لي إليكم حاجة : إني أريد أن أدعو على ابني هذا أن يقبضه الله ، وتؤمنون[5] فسألوه عن ذلك ، فأخبرهم أنه رأى في نومه كأن الناس جمعوا إلى القيامة ، فأصاب الناس عطش شديد ، فإذا الوالدان قد خرجوا من الجنة معهم الأباريق ، فأبصرت ابن أخ لي فقلت : يا فلان اسقني . فقال : يا عم إنا لا نسقي إلا آباءنا . قال فأحببت أن يجعل الله ولدي هذا فرطا لي[6] فدعا فأمنوا . فلم يلبث الغلام إلا يسيرا حتى مات .[7]

وفي أكثر الأحاديث ذكر الثلاثة والاثنين. وفي بعضها وأظن لو قلنا وواحدا لقال : وواحدا . خرجه أحمد من حديث جابر[8].

وقد جاء ذكر الواحد في حديث ، خرج الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود مرفوعا : من قدم ثلاثة لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا حصينا . فقال أبو ذر : قدمت اثنين . فقال : واثنين . فقال أبي بن كعب : قدمت واحدا . قال : وواحدا ، ولكن إنما ذاك عند الصدمة الأولى .

---

[1] (4) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الحفاظ ت 277 تقريب / 467 .
[2] (5) أبو إسحاق من تلاميذ الإمام أحمد زاهد ورع فقيه محدث ت 285 طبقات الحنابلة 1 / 86 .
[3] (1) ذكرها ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 29 .
[4] (2) أبو عبد الرحمن عبد الله الخرساني . صدوق عابد ت 156 تقريب / 308 .
[5] (3) أي على دعائه.
[6] (4) يقال : افترط ولدا أي مات ولده قبل الحلم . ترتيب القاموس 3 / 475 .
[7] (5) ذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 28 إلا أنه نسب القصة إلى ابن شوذب نفسه . وليس هذا من هدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا صحابته ولا التابعين ومن سلف من صلحاء الأمة بل ورد النهي عن الدعاء على الأولاد والتحذير منه .
[8] (6) المسند 19 / 139 قال الهيثمي : ورجاله ثقات المجمع 3 / 7 .

وفي الترمذي عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما[1] الجنة . فقالت عائشة : ومن كان له فرط من أمتك . قال[2]: ومن (186 \ ب) كان له فرط من أمتي يا موفقة . قالت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال : فأنا فرط أمتي ، لن يصابوا بمثلي ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في آخر خطبة خطبها : (إني فرطكم على الحوض) ،يشير إلى أنه يتقدمهم ويسبقهم إلى الحوض ، وينتظرهم عنده.

وفي حديث مرسل خرجه ابن أبي الدنيا : من مات ولم يقدم فرطا لم يدخل الجنة إلا تصريدا[3]. فقيل : يا رسول الله ، وما الفرط ؟ قال : الولد (أ) [4] وولد الولد . والأخ يؤاخيه في الله عز وجل . فمن لم يكن له فرط ، فأنا له فرط .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة ، في ذكر المنام الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم : ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه ، فجاءته أفراطه الصغار فثقلوا ميزانه .

وعن داود بن أبي هند[5] قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكأن الناس يدعون للحساب فقدمت إلى الميزان ، فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة ، فرجحت السيئات على الحسنات ، فبينا أنا كذلك مغموم ، إذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخرقة البيضاء ، فوضعت في حسناتي (فرجحت على السيئات) [6] فقيل لي : تدري ما هذا ؟ قلت : لا . قال : سقط كان لك . قلت : إنه قد كانت لي صبية ابنة لي . فقيل لي : تيك ليست لك ؛ لأنك كنت تتمنى موتها[7].

---

[1] (7) في الأصل : بهم .
[2] (1) في الأصل : قال ومن قال ومن . وهو سهو من الناسخ .
[3] (2) التصريد : التقليل ترتيب القاموس 2 / 812 .
[4] (3) ساقط من الأصل .
[5] (4) أبو بكر القشيري مولاهم البصري ، ثقة متقن كان يهم بآخرة ت 140 تقريب / 200 .
[6] (5) ساقط من الأصل .
[7] (6) أخرجه عبد الرحمن بن أبي حاتم كما في التسلية / 127 وذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 19 .

وفي (187 \ أ) هذا إشارة إلى ان الميزان إنما يثقل بما يثقل على النفوس : من المصائب ويشق ، فأما ما لا يثقل عليها ولا يشق لمن يتمنى موته من أولاده فلا يثقل به الميزان .

قال ابن أسلم[1] : مات ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا . فأوحى الله (إليه) [2] : ماذا كنت مفتديه ؟ قال : بطلاع[3] الأرض ذهبا . قال : فأوحى الله إليه : إن لك عندي من الأجر بحساب ذلك . وفي رواية قال : يا داود ما كان يعدل هذا الولد عندك ؟ قال : كان يعدل عندي ملء الأرض ذهبا . قال : فلك يوم القيامة عندي ملء الأرض ثوابا[4]. سبحان من لا يحصي العباد نعمه . وربما كانت نعمه فيما يسوء أكثر من نعمه فيما يسر كما قيل :

إذا مس بالسـراء عم سرورها * * * وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
ومــا فيهمــا إلا لـه فيـه نعمـة * * * تضيق بها الأوهام والبر والبحر

لما كان للمؤمن داران : دار يرتحل منها ، ودار ينتقل إليها ويقيم بها أمره أن ينقل من دار ارتحاله إلى دار إقامته ؛ ليعمرها من بعض ما أعطاه في دار ترحاله .

وربما أخذ منه كرها ما يعمر به دار إقامته ، ويكمل له به عمارتها وإصلاحها ، ويقدم له إليها ما يحب من أهل ومال وولد ، يسبقونه إليها ؛ ليقدم على ما يحب من مال وأهل وولد ، وإن كان المؤمن (187 \ ب) لا يشعر بذلك .

فما فرق إلا ليجمع ، ولا أخذ إلا ليرد ، ولا سلب (إلا) زيادة يقتضيها السياق . ليهب ، ولا استرد العواري إلا ليردها تمليكا ثابتا لا استرجاع فيه بعد ذلك !!

وفي مراسيل الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لأن أموت قبل أخي أحب إلى . فقال : لأن يكون لك أحب إليك من أن تكون له .

---

(1) أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب ، ثقة عالم وكان يرسل ت 136 تقريب / 222.
(2) ساقط من الأصل .
(3) الطلع : المقدار . ترتيب القاموس 3 / 88 .
(4) ذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 27 .

قال الحسن : علموا ان ما لهم من اهاليهم (إلا) [1] ما قدموا أمامهم [2] . وكذا قال عمر بن عبد العزيز [3] وغيره . ويشهد له حديث : الرقوب [4] من لم يقدم ولدا .

سبحان من أنعم على عباده بما خولهم من المال والولد ، ثم استرجع بعض ذلك منهم كرها ، وعوضهم الصلاة والرحمة والهدى [5] وذلك أفضل مما أخذ كما قيل :

عطيتــه إذا أعطــى ســرورا * * * وإن أخـذ الـذي أعطـى أثابـا
فـأي النعمتيــن أجــل قـدرا * * * وأحــمد فــي عواقبهــا مآبـا [6]
أرحمتــه التـي جـاءت بكـره * * * أم الأخرى التي جلبت ثوابا
بــل الأخـرى وإن نـزلت بضـر * * * أجل لفقد من صبر احتسابا

آخره ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا [7] .

---

(1) زيادة يقتضيها السياق .
(2) أخرج نحوه أبو نعيم في الحلية 2 / 141 .
(3) ابن مروان بن الحكم الأموي ، أمير المؤمنين ويعد من الخلفاء الراشدين ت 101 تقريب / 415 .
(4) الرقوب : التي لا يبقى لها ولد أو مات ولدها . ترتيب القاموس 2 / 372 .
(5) قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ سورة البقرة الآيتان 156 ، 157 .
(6) في الأصل : مآبا ، إيابا .
(1) إلى هنا انتهت الرّسالة والحمد للّـه الذي بنعمته تتم الصالحات .الوليد بن عبد الرحمن الفريان.